FA-201703-69A-9

الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم

أ.م. د. إيمان بنت زكي عبد الله أسرة osrah-eoe@hotmail.com
بقسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى
الكلمة المفتاحية : الكرامة ، الانسانية ، التصور الإسلامي
key words :Dignity ، Humanitarian ،Islamic perspective
تاريخ استلام البحث : ٢٠١٧/٢/٢٦

ملخص البحث :
ارتكز قيام الشريعة الإسلامية على مبدأ الكرامة الإنسانية ؛ لينفي عن الإنسانية الذل والمهانة بشقيها المادي والمعنوي ، وليرسخ في النفس الإنسانية العزة بعبوديتها لله سبحانه وتعالى وإقامة منهجه على وجه الأرض ، فكان التصور الإسلامي لمبدأ الكرامة الإنسانية تصورا متكاملا لمقوماته الأساسية والثانوية، شاملا لأبعاده المادية والمعنوية ،عادلا في إقرار الخاص منه والعام بين العباد، متوازنا في ترسيخه في جوانب الشخصية الإنسانية على نحو ينتج عنه تنمية الإنسان الخليفة لله على أرضه بمنهجه التشريعي .
فلقد كفلت الشريعة الإسلامية للإنسان كرامته منذ بدء خلقه واستمرت تدعم هذا المبدأ بمنهج تربوي يقوي غرسه في الروح الإنسانية ، بتأصيله في عقيدتها ، أخلاقها وأعمالها برؤية متزنة متكاملة تتلاءم مع طبيعتها ذات الأصل والنشأة الطيبة الكريمة المتميزة عن بقية خلق الله تعالى، مما جعل الكرامة الإنسانية تمثل الصورة المشرقة للحقوق الإنسانية والواجبات الشرعية، والرؤية الجلية لبناء مجتمع يكفل لكل فرد قيمته.
ووفق هذا التصور يمكن تصنيف الكرامة الإلهية للإنسان وفق ركيزتين أساسيتين تتعلق الأولى بأصل الكرامة الإنسانية وأنواعها والتي يعتني بها المبحث الثاني الموسوم بأنواع الكرامة للذات الانسانية، بينما تتعلق الثانية بالذات المكرمة من حيث أبعاد الكرامة المتصلة بها بين الخاص والعام ويعالجها المبحث الثالث الموسوم بأبعاد الكرامة الانسانية ؛ ليكن البحث هادفا تأصيل مبدأ الكرامة الإنسانية في ضوء التصور الإسلامي ببيان أبعادها التربوية .
ولقد تناول البحث المحاور الاتية :
المبحث الأول : مفهوم الكرامة الانسانية ومكانتها في التصور الإسلامي .

المبحث الثاني : أنواع الكرامة للذات الانسانية في التصور الإسلامي : (الكرامة المادية ، الكرامة المعنوية).
المبحث الثالث : أبعاد الكرامة الإنسانية في التصور الإسلامي : (الكرامة العامة والخاصة)

The principle of human dignity in Islamic conception

DR.Emaan Zaki Abdullah Osrah

Assistant Professor of Foundations of Educatien in Islamaic and Compaarative Education Department in Umm Al Qura University

Abstract :

The principle of human dignity in Islamic *conception*

The emergence of Islamic Law (Sharia) has based on the principle of human dignity which Islamic law has guaranteed to human the being from the beginning of his creation. Islamic law has continued to support this principle by an educational approach strengthening its roots in the human soul; and by inserting this principle in its doctrine, ethics, and deeds with a balanced and integrated vision, that is compatible with its human descent nature and its gracious origin that is distinct from all the other creatures. That in order to protect human psyche from the material and moral humiliation, enhancing the pride within human soul by its slavery to God Almighty and establishing his divine approach. This principle empowers its authentic dimensions within the human soul and purifies it from its false aspects. That makes human dignity represents the bright image of human rights, legitimate duties, and an obvious vision of building a society that ensures value and importance for each individual.

The Islamic conception of the principle of human dignity has been an integrated conception of its primary and secondary components, including its physical and moral dimensions, fair in determining what is private and general among people, and

balanced in establishing the aspects of psyche in a way that results in the development of human personality which has been the successor upon the land of God according to His legislative approach.

Depending on the importance of the principle of human dignity in achieving the human education, the research aims to consolidating this principle in the light of the Islamic perception by revealing its physical and moral dimensions, and its types according to the human-self to which it is related among the private and public.

مقدمة :

الحمد الله رب العالمين خالق الإنسان على وجه من تمام الاتقان الذي كرمه به على كافة خلقه أجمعين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ...

إن الشريعة الإسلامية شريعة التكامل والشمول والتوازن والثبات في تحقيق تربية الإنسان مما جعلها خالدة لا تمحوها شريعة إنسانية ، صالحة لا يقهرها تباين الأحوال باختلاف الأزمنة والأمكنة ؛ وما ذلك إلا لإرتكازها على مبادئ ربانية تربوية كفلت للإنسانية حقوقها وواجباتها ، مشاطرة الروح والعقل والجسد الانساني ، محققة لها الكرامة الانسانية في أسمى مراتبها ، فلم يكن لمبدأ من مبادئ الشريعة حظاً من جانب من جوانب الشخصية الإنسانية دون الأخر على وجه يحط من قدر الإنسان ويضع من كرامته ؛ وما ذلك إلا لإيمانها بأن الانغماس في تحقيق مطالب جانب دون الاخر يحط من كرامة الانسان ويدنيه لمرتبة لا تليق به ، فإن كانت كافة المبادئ الاسلامية تهدف لتحقق الكرامة الانسانية ؛ فإن ذلك يعد مؤشرا لكون مبدأ الكرامة يمثل العمود الفقري لتوجيه المنهج التربوي.

ولقد ارتكز قيام مبدأ الكرامة الانسانية في المنهج الاسلامي على دعامتين : كرامة الأصل التكويني للإنسان ، وكرامة الغاية من الوجود الإنساني المتمثلة في أداء مهمة الإستخلاف على الأرض بمنهج الله وتحقيق العبودية له .قال تعالى : {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً } [١] .

فالتصور الإسلامي لأصل النفس الانسانية ومراحل تكوينها منح الانسان تكريما وتشريفا لكل جانب من جوانبه ، فروحه نفخه من روح الله مفطورة على الفطرة الاسلامية ، وجسده مخلوق من عنصر يتناسب مع مهمته على وجه الأرض مُزودا

[١] - سورة الأحزاب: آية ٧٢ .

بأدوات العلم والعمل ، وقلبه العاقل هو مضغة صلاحيته لتحمل التكاليف الشرعية ، كل هذا التكامل في التصور الإسلامي منح الإنسان كرامة لها أبعادها التكاملية ، بخلاف النظريات الوضعية التي تحقر من أصل الإنسان .

فلقد ارتقت النظرية الإسلامية بشريعتها الغراء السامية على النظريات التربوية الوضعية، حينما كفلت للإنسان كرامته منذ بدء خلقه واستمرت تدعم هذا المبدأ بمنهج تربوي يقوي غراسه في الروح الإنسانية ، بتأصيله في عقيدتها وسلوكياتها برؤية متزنة متكاملة شاملة تتلاءم مع طبيعته ذات الأصل والنشأة الطيبة المتميزة عن بقية خلق الله سبحانه وتعالى؛ مما جعل الكرامة الإنسانية تمثل الصورة المشرقة للحقوق الإنسانية ، والرؤية الجلية لبناء مجتمع يكفل لكل فرد كرامته التي تمثل أصل وجوده الإنساني ، وجوهر ذاته المتميزة ، والمبدأ الكفيل برسم حقوقه التي له وعليه بما يتناسب مع طبيعته التكوينية والهدف من وجوده.

ووفق ذلك نجد أن لمبدأ الكرامة الإنسانية قيمة تربوية عالية ، وأبعاد هادفة لتأصيل وتوجيه العقائد والأخلاق والسلوكيات ، ولكي يتمكن المربي من غرس هذا المبدأ القيم في نفوس المتربين وفق أبعاده التأصيلية عليه أن يستقيه من المنهج القرآني متبعا أمر الله سبحانه وتعالى لعباده : {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [٢]، فالمربي المؤمن يستمد عطاءه من كنز الهداية الذي لا ينفد كلام الله وتوجيهاته التي تقيم الدوافع الإنسانية مقام الاتزان ما بين العمل والعطاء ، والضبط والكف ، وتنور القلب وتشعل الوجدان بروح الإيمان بصدق خطابه وبدائع أنواره .

واستجابة لحاجة المربي لرؤية تأصيلية لمبدأ الكرامة الإنسانية ارتكز هدف البحث الحالي على تأصيل الكرامة الإنسانية ببيان أبعادها التربوية الواردة في مصادر العلم الرباني اليقيني ؛ لما في ذلك من أهمية تربوية في دعم المربي والمتربي بأوجه الكرامة الإنسانية المكفولة للإنسان شرعا والتي توضح له حقوقه الواجبة له وعليه دون ضَرر ولا ضِرار ، ودعم وتوجيه واضعي المناهج التربوية لمراعاة تأسيس المنهج التربوي على أبعاد الكرامة الإنسانية وبما يكفل تحقيقه .

المبحث الأول : مفهوم الكرامة الانسانية ومكانتها في التصور الإسلامي .

يتباين مفهوم الكرامة الإنسانية وأبعادها بتباين الثقافات وأهدافها التي ترتكز عليها ، فمن الثقافات ما يحصره في عناصر مادية وحقوق مزيفة تفصل شؤون الإنسان الدينية عن الدنيوية بجعله مسخرا للحياة الدنيا منكبا على ملذاتها غافلا عن الحياة الأخرة ومقومات كرامته الحقيقية بشكل يدني من أهدافه وتصوراته وسلوكه ومكانته في الداريين ، ومن الثقافات ما تبني تصورات الإنسان عن ذاته على أسس نظرية النشوء والارتقاء فتصور له طبيعته التكوينية على أنه خَلق دنيء في نشأته متطور من أصل

[٢] - سورة الزخرف :آية ٤٣.

حيواني ، وكل هذه الأبعاد لمفهوم الكرامة في الثقافات الإنسانية جعلت نظرة الإنسان لذاته والحياة من حوله وأهدافه فيها دنيئة توقعه في مورثات الانحطاط والذل التي تحط من مكانته. إلا أن الثقافة الإسلامية اكسبت مفهوم الكرامة الإنسانية في ظل المنهج الإسلامي أبعادا تربوية عالية الأثر على الكيان الانساني لم يحظ بها في أي ثقافة أخرى اذ يمكن تعريفها وفق رؤية الباحثة بأنها : رفعة منزلة الإنسان والارتقاء به لمرتبة تميزه عن سائر المخلوقات ماديا ومعنويا وفق منهج رباني كَفل له وعليه حقوقا وواجبات شرعية تتوافق مع فطرته السليمة وخصائصها الدقيقة وتلبي له احتياجاتها الروحية ، والجسدية ، والفكرية بشكل يمكنه من تحقيق رسالته الإستخلافية على وجه الأرض .

فقد حظيت الكرامة الإنسانية في التصور الإسلامي بمكانة عالية المقام اذ كُفلت للإنسان منذ عهد التكوين الأول ولازمت مراحل نشأته ، كما كُفلت له من خلال وضوح التشريعات وصفاء التصورات العقلية عن الله سبحانه وتعالى ، والحياة ومخلوقاتها ، والذات الإنسانية ومهامها ؛ مما جعل من الكرامة الإنسانية سياج يحيط بالنفس الإنسانية يحميها و يقيها من مورثات الانحطاط العقدي والعقلي والخلقي السلوكي ، و كل ما من شأنه أن ينال من عزتها ويبعدها عن السمو بأهدافها . جاعلا منها نفسا مكرمة بتكوينها وعقيدتها وتصوراتها وسلوكها . تلتمس مقومات كرامتها في كل بعد من أبعاد المنهج التربوي الإسلامي وفي كل ما يحيط بها من مخلوقات. محققا لها الوقاية والتنمية المتكاملة الشاملة المتوازنة لكافة جوانب شخصيته بما يكفل قيام شخصية إنسانية مؤهلة لأداء الرسالة الإستخلافية . كل ذلك من خلال توضيح الحقوق والواجبات الشرعية التي له وعليه.

المبحث الثاني : أنواع الكرامة للذات الانسانية في التصور الإسلامي .

إن التكريم الإلهي للذات الإنسانية في القرآن الكريم قام وفق نوعين :

* كرامة مادية تتعلق بالإنسان والكون من حوله.
* كرامة معنوية تتعلق بالتشريعات الإسلامية التي توجه الذات الانسانية لما يحقق لها كرامتها وسعادتها في الدارين.

لتكن أنواع الكرامة للذات الانسانية وفق نوعين كرامة مادية وكرامة معنوية.

أ- الكرامة المادية : للكرامة المادية شواهد يمكن توضيحها وفق ما يلي :

١- كرامات الخلق الأول للإنسان :

كفلت العناية الإلهية للإنسان كرامته منذ بدأ خلقه حيث صورته في أحسن تقويم واستخرجت عناصر تكوينه من أصل طاهر مكرم في مادته وخصائصها ؛ لتكن طبيعة خلقه مظهرا من مظاهر التكريم يتناسب مع المهمة المكلف بها على وجه الأرض؛ مما جعل الهدف من خلقه متسقا مع طبيعته التكوينية ، فهو خليفة لله على أرضه بتحقيق

منهجه لذا كان من اللازم أن تكون ذاته مكرمة مشرفة بخصائص تتناسب مع كرامة ورفعة هدفه الذي خلق من أجله. قال تعالى :{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٣]، فالإنسان يظهر بسلوكه ما استودع في نفسه، لكون النفس الإنسانية مصدر لدوافع السلوك ، والعقل الإنساني محرك دوافع السلوك ، لذا كفل الإسلام للإنسان كرامته كي لا تبتذل بفعل الخبائث التي تحط من قدرها حينما منحه النفس المكرمة بنفخ الله من روحه واستودع فيها الفطرة السليمة المقرة بالله المتعلقة بحب الخير وكراهية الشر ، ويصف الهاشمي هذه النفس بأنها "ذات الشعور الديني الفطري في الإنسان" [٤] وهذا يظهر انعكاس طبيعة تكوين الروح على سلوك الإنسان . قال تعالى : { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ {٧} ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ{٨} ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}[٥] لقد بينت الآيات مراحل تكوين الإنسان وأصل مادته بقصد الوقوف على موضع الكرامة الإلهية في خلقه ، وإرشاد عقله للإهتداء للحكمة الإلهية من اختيار مادة خلقه، فخلقه من طين وماء مهين من مادة ذات خصائص تتناسب مع خصائصه النفسية ؛ لهي كرامة إنسانية منذ التكوين الأول ، فكلما كانت خصائص المادة التكوينية تتوافق مع المخلوق ومهامه التي خلق من أجلها كان فيه تقديراً واحتراماً وعزةً له. ثم إن قيام خلقته على هيئة سوية متكاملة، متناسقة في سماتها ، متآلفة في خصائصها ؛ لهو أجل تكريم يكفل له تهيئته للقيام بوظيفته دون أن يجد في أصله التكويني ما يتعارض مع هذا المنهج الرباني في تنميته. قال تعالى : {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }[٦] ، ويرتقي على هاتين الكرامتين في أصل خلقه ، الروح المحركة لعنصر الحياة الإنسانية فهي نفخة من روح الله . يقول أبي السعود في تفسير الآية " (ونفخ فيه من روحه) إضافة إليه تعالى تشريفاً له وإيذانا بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأنا " [٧] ، فنفخ الله من روحه تشريفاً وتكريماً لجنس الإنسانية ، وتطهيراً لروح معظمة ستنسج خلجاتها على العقيدة الصافية المقرة لله بألوهيته ، فكرامة الإنسان بالنفخ من روح الله إذاناً منه بإحيائها مشرفة مكرمة عنده سبحانه وتعالى ، كي تسعى دوماً لإعلاء شأنها ، فهذا التكريم كائن للروح بالنشأة والتكوين يشدها للإرتقاء بذاتها في سلم الخير والصلاح لكونها مصدر قوة الإنسان ، فهي " القوة المؤثرة في الإنسان، تلك القوة الداخلية ذات الأثر الواضح على التفكير وعلى

---

٣ - سورة الذاريات: آية ٥٦ .
٤- الهاشمي ، عابد توفيق (١٤٠٢هـ). مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ، عمان : دار الفرقان ، ص٢٧.
٥ - سورة السجدة: آية ٧ – ٩.
٦- سورة التين: آية ٤.
٧-العبادي ، لأبي السعود محمد بن محمد (د.ت) . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، بيروت : دار احياء التراث ، ج٧، ص٨١.

السلوك ، وعلى العلاقات وعلى العادات "[٨]، فهي ليست روح جوفاء تسكن الجسد دون أن تخالطه وتوجهه وتفطره على الفطرة السليمة. قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [٩] ، فالنفخة من روح الله لا يعرف كنهها ولا يدرك مهيتها لكن يدرك آثارها التكريمية التي ميزت الإنسانية على كافة خلق الله سبحانه وتعالى ، وقد وضح سيد قطب الخصائص التي ميزت الروح الإنسانية فأورد في مجمل بيانه " خاصية القابلية للرقي العقلي والروحي، والقدرة على الإرتقاء في المعرفة " [١٠] ، فالكرامة الكائنة للإنسان بالروح أعقبها تكريم آخر بتزويده بقدرات روحية وعقلية وجسدية ، وعقدها بنسق متكاتف كي يرتقي بنفسه لهدف سامي من أجله خلق في هذا الكمال . فالله سبحانه وتعالى يعقب ذكر النفخ في الإنسان من روحه بما أودع في هذه الروح من خصائص ليشير– والله أعلم – إلى أهمية وأثر هذه القوى الإنسانية في تحقيق رسالته الإستخلافية، ولكي يثير إهتمام الإنسان لضرورة تعهدها بالتنمية المستمرة. قال تعالى : {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} [١١]، فهذه الخصائص في حد ذاتها تكريم للإنسان؛ لكونها سبل ارتقائه بذاته، فهي أدوات العلم ، وأدوات الاتصال التي تحيه الحياة القويمة وتمكنه من رسم هدفه ، وإدراك عناصر الكون من حوله والاستدلال على حقائقه فيتمكن من اقامة شرع الله وحدوده ومنهجه على وجه الأرض . ذلك أن أحسن توجيه هذه الأدوات والوسائل وفق منهج سليم ، فالتيارات المعرفية والمكونات المادية من حوله لا تتناسق محققة له بلوغ هدفه إلا إن أحسن قيادتها وفق منهج الإله العليم الخبير.
ولهذه الروح ولخصائصها حصل التكريم الإلهي الثاني للإنسانية في عهد الخلق الأول بأمر الله ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام ، لعظمة الروح وخصائصها ومهامها التي ستعتني بها قال تعالى : { وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ{٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ{٧٢} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}[١٢] ؛ مما يتطلب من النفس الإنسانية أن تحافظ على طهارتها وسموها وتنمي خصائصها بما يكفل لها عزتها ، فمتى حجب ذلك السمو الروحي عن الهدف الإستخلافي ، حجبت أنوار هذه الرتبة التكريمية ليعود الإنسان لأصله من طين ؛ لذا فإن الله يربط دوما الإنسان بأصل خلقته من طين وماء مهين كي يكسر فيه الكبر والأنفة والإستعلاء عن مقومات التنمية. وقد أعقب هذا التكريم الرباني بسجود الملائكة تكريم آخر عظيم يتمثل في تعليم الإنسان أسماء المخلوقات من حوله ، فلم يخلقه في كل

٨- سرسيق ، إبراهيم محمد . (د.ت) ، النفس الإنسانية في القرآن الكريم ، جدة : تهامة ، ص٢٨.
٩ - سورة الروم: آية ٣٠.
١٠- سيد قطب (١٣٩٩هـ) . في ظلال القرآن ، بيروت : دار الشروق ، ط٨ ، م٥، ج٢٣ ، ص٣٠٢٧.
١١ - سورة السجدة: آية ٩ .
١٢ - سورة ص : آية ٧١ – ٧٣.

هذا التكريم ويغلق عليه منافذ العلم والتعلم التي تمكنه من التسخير الأمثل للمخلوقات من حوله لأداء رسالته التي هي أساس كرامة الله للإنسانية . قال تعالى : { قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ{٣٢} قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ} [١٣] ، ويمكن إجمال التكريم الإلهي المادي للإنسانية في عهد التكوين والخلق فيما يلي :

- ❖ تكريمه بالخلق المتقن المتكامل ، المعظم بنفخة الله من روحه .
- ❖ تكريمه بتزويده بأدوات التعلم والعلم من السمع والبصر والفؤاد فهي أدوات الفهم والتعقل.
- ❖ تكريمه بسجود الملائكة له .
- ❖ تكريمه بتعليمه أسماء المخلوقات من حوله .

وفي الحقيقة إن مظاهر التكريم المادي للإنسان لم تقتصر على عنصره بل تعدت إلى ما حوله بتسخير المخلوقات له ؛ تكريماً لهذا الإنسان المكلف برسالة تتطلب منه السعي المستمر في إعلاء كلمتها وإقامة حدودها ونشر منهجها بشكل يتطلب تذليل ما في الكون لخدمته من أجل تحقيق هدفه .

٢- كرامة التسخير لمقومات الحياة الإنسانية من المخلوقات :

أعد الله سبحانه وتعالى الكون إعدادا متقنا مسخرا ما فيه للإنسان ومتطلباته حتى غدت نواميس الكون مسيرة له وفق نظام دقيق ينسجم معه يرشده، ويسانده في تنفيذ رسالته وأداء وظيفته بإنسانية تناظر ثقل الأمانة الملاقاة على كاهله . قال تعالى : { أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} [١٤]. فأفلاك السماء سائرة لهداية الإنسان وتسير أمور حياته تبعا للدقة والنظام المودع في هذه المخلوقات ، فالشمس والقمر مخلوقين يرشدانه لأوقات العبادات ، كما يرشدانه لتنظيم وقته ويومه وسنوات حياته وفق نظامهما ودلائل أحوالهما فهما مخلوقان بالحق وللهداية للحق . قال تعالى : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [١٥] .

فالتسخير كرامة مقترنة بكرامة الهداية المعنوية والمادية للإنسان بالكشف عن خصائص المواد وأسرارها والحكم من خلقها وفق هذا الإبداع المنسجم مع متطلبات الإنسانية . فالأرض مسخرة للإصلاح والإعمار الإنساني بشكل يوجه الطاقة الإنسانية لتكيف بيئتها الطبيعية بما يحقق له الحياة الكريمة . قال تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

---

١٣ - سورة البقرة: ٣٢ – ٣٣.
١٤ - سورة لقمان : آية ٢٠.
١٥ - سورة يونس: آية ٥ .

الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[١٦]. وعندما كان الإنسان كائن متحرك ونشط بحاجة لمخلوقات تساعده على سرعة التنقل والسعي في الأرض لإعمارها ماديا ومعنويا، وعندما كان مخلوق يأنس بمن حوله غير مكتفي بطاقته طوع الله له مخلوقات من حوله وذللها له كي تعينه على بلوغ رسالته . قال تعالى : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } [١٧] ، وعندما جعل الله التسخير مقرونا بالهداية أرشد الإنسان في آياته الكريمة إلى المخلوقات الصالحة لحمله في البر والبحر. قال تعالى : { وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [١٨] .

٣- كرامة الرزق من الطيبات : من مظاهر التكريم الإلهي للإنسانية رزقهم من الطيبات وتسخير السبل لبلوغها بهداية العقول للنافع منها وطرق الحصول عليها. قال تعالى : { اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [١٩] . فقد اقتضت حكمة الله رزق عباده من الطيبات كي يوافق المطعم الطيب النفس الطيبة ، ويسهم في تطهيرها ، ولكي يظهر الله تمام العناية بجنس الإنسان فهو جنس مكرم في كافة أحواله ومن كل جوانبه ، لا يرضى الله سبحانه وتعالى له الخبيث الذي ينال من كرامته ، فكل احتياجاته وكل متطلباته مكفولة محققه له بعزة وكرامة طالما أحسن استقائها من المنهج الرباني.

فمن تمام كرم الله أن نوع له في مطعمه ولم يضيق له في طلب الطيبات. قال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٢٠] ، وقال تعالى : { وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}[٢١]. ففي هذه الآية بيان لتفضل الله على عباده بتسخير الأنعام ذات المنافع الكثيرة فمن لحومها المأكل ، وفي بطونها الشراب النافع ، وفي أوبارها الدفء مظهرا لهم جانبا من الطيبات ومرشدا لعقولهم للاستفادة منها ، كي يبين لهم أن الرزق في الشريعة قائم على مبدأ أخذ الطيب وترك الضار سواء اكان ضرره قائم بالفرد أم بالجماعة ؛ لكون كرامة الفرد تتحقق تبعا لكرامة المجتمع لذا شرع الله للإنسانية ما يكفل كرامة الفرد والمجتمع معاً ؛ لكون الكسب الحرام ينال من كرامة المجتمع كما بين الهاشمي في تعريفه له بأنه : "كل ما يضر بالفرد والجماعة وينال من كيانهم الروحي والفكري والجسدي والمعنوي"[٢٢]

---

١٦ - سورة الملك: آية ١٥.
١٧ - سورة الإسراء: آية ٧٠.
١٨ - سورة النحل: آية ٨.
١٩ - سورة غافر : آية ٦٤ .
٢٠ - سورة النحل: آية ١٤.
٢١ - سورة المؤمنون: آية ٢١.
٢٢- الهاشمي ، عابد . مرجع سابق : ص٢٢٧.

، فحرصا من الشريعة الإسلامية على حفظ كرامة الإنسان فرداً وجماعة حرم الخبائث من الرزق وأحل الطيبات التي تكفل طهارة الباطن والظاهر وتعلو بالإنسانية عن الدنو إلى رتبة لا تليق بفطرتهم ولا بدينهم ، كما حذرهم من تحصيل الرزق بطرق غير مشروعة تكون سببا في ذلتهم والتضيق عليهم . قال تعالى : { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً{١٦٠} وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }[٢٣]، فهنا تربية للذات على مبدأ الكرامة الإنسانية وإقامتها كمبدأ مشترك بين كافة أفراد المجتمع الإنساني. ولعل ذلك يعكس لنا الجانب الآخر من الكرامة الإنسانية الجانب المعنوي ، كما يعكس لنا أبعاد ذات الكرامة المادية ، فليست الكرامة المادية للإنسانية هي قائمة بذاتها بل هي قائمة تبعا للمعاني العميقة المتضمنة في التشريعات الاسلامية التي لابد من غرسها في النفس الإنسانية.

ب - الكرامة المعنوية : تتمثل أبعاد الكرامة المعنوية في الحقوق والواجبات الشرعية التي كفلها الإسلام للإنسان وعليه لتضبط السلوك الإنساني وتوجه محققة له كرامته في أسمى صورها، ويمكن بيان أوجه منها وفق ما يلي :

١- الفطرة السليمة وحرية الارادة كرامة للإنسانية :

إن الدين الإسلامي دين الفطرة السليمة ذات الاستعدادات الروحية لقبول الحق والخير، فهي قوة إنسانية مخلوقة في الإنسان مودعة فيه ، وإن حادت عن الطريق المستقيم فبفعل المؤثرات الخارجية إلا أنها في حد ذاتها تنضخ بقبول الحق والخير والبحث عنه ؛ لكونه مصدر سكينتها وراحتها وهذا في حد ذاته كرامة للقوة الإنسانية بتكليفها ما تطيق فليس من طاقتها خلق الخير في ذاتها ؛ لكونه من صنع بارئها إنما المطلوب منها والمكلفة به تهذيب وتنمية فطرتها وفق الدعائم المودعة فيها. قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا{٨} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا{٩} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}[٢٤]، فالنفس ملهمة للهداية والتقوى بحكم تسويتها على الفطرة السليمة ، مزودة بقوة الإرادة وحرية الاختيار التي تعد مرتبة من مراتب الكرامة الإنسانية أيضا، فالخير واضح مدرك بفعل الفطرة وبفعل عمل العقل وفقها ، فإن أحسن تزكية عقله وروحه وطهرهما من الشر والباطل وتعاهد عقله وروحه بإقامة منهج الله فيهما تمكن من التقرب لله تعالى وزكى قوته وغذى كرامته. وبذلك تكون الإرادة تكريما للإنسانية فهو غير مجبر مسير بالهداية أو الضلال بل هو مخير بينهما تبعا لقوة تحكمه في قواه وتزكيته لها بالخير، فإنسانية الإنسان تقتضي حرية الإرادة، وحرية الإرادة غير مقصورة على الباعث على العمل بل هي حرية في اختيار نوع العمل وطريقة التنفيذ تبعا لسعة التشريع الإسلامي ومرونته الذي راعى الفروق الفردية . قال تعالى : { لاَ

---

٢٣ - سورة النساء: آية ١٦٠ – ١٦١ .

٢٤ - سورة الشمس :آية ٧ – ١٠.

يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[٢٥].

٢- العقيدة الإسلامية كرامة للإنسانية :

إن المحرك الأساسي والباعث للإرادة الهادية للخير وبلوغه ، كرامة الله تعالى لعباده بالعقيدة الإسلامية التي طهرت العقل من الأوهام والخرافات ونقته من الحجب التي تحجب منهج الله عنه، " لذلك فإن وازع الخير في الإنسان المسلم هو نابع من العقيدة في حد ذاتها ودوافع الخير وليدة لهذه المقدمات والأصول، وهذه المقدمات وليدة النتائج ، والنتائج تكرم الإنسان في أسمى صورة بعد أن كرمه الله بالخلقة والصورة والطبيعة ، كما كرمه بالإرادة وعنصر التميز"[٢٦] قال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } [٢٧] . وقد فتح الله لعباده العلم بالعقيدة الإسلامية بواسطة الوحي ليكن مصدرا يقينيا لكل طالب للهداية وجعله منهج لكافة الإنسانية بتسخير مادته للفهم والإدراك لدقائق أسراره وحكم تشريعاته حينما أمر عباده بتدبره بصفاء قلبي قاصدين الهدى . قال تعالى : { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [٢٨] . فتكريم الله سبحانه وتعالى للإنسانية بفتح سبل العلم و الهداية للحق هي أعلى مراتب التكريم لكونها مفتاح لكافة مراتب الكرامة الإنسانية إذ لا سبيل لإدراك مراتب التكريم الإلهي إلا بفتح علمها في العقل الإنساني . قال تعالى:{ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[٢٩].

٣ – العقل الإنساني كرامة معنوية : إن أداة بلوغ الإنسان للعلم و الهداية للحق كائنة بكرامة الله عليه بالعقل وبالعمليات العقلية التي تعلو من مكانته ؛ لكون العقل بقدراته يهدي للتقوى فهو محل التدبر والتذكر والباعث للعمل ، وفلاح الإنسان وصلاحه مرتبط بإعمال عقله وتوجيه قدراته وفق المنهج الرباني الذي راعى خصائصه . قال تعالى :{ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [٣٠]. فالعقل محور الفهم والاقتناع الذي حرصت الشريعة بمنهجها المتكامل المتزن على تنميته في كل نفس لكونه الموصل للتغير في السلوك و الثبات في العمل ؛ ذاك لكون التغير في السلوك لا يحدث بالإجبار بل بالفهم والاقتناع ؛ لذا أرشد الله في كتابه العزيز العقل للنظر في النفس الإنسانية وخلقها ، وخلق الكون

---

٢٥ - سورة البقرة : آية ٢٨٦.
٢٦- فودة ، حمزة إبراهيم (١٤٠٤هـ) . العلاقات الإنسانية في القرآن الكريم ، ط٢ ، ص١٧.
٢٧ - سورة سبأ: آيــة٤٦.
٢٨ - سورة القمر: آية ١٧.
٢٩ - سورة العلق: آية ٥ .
٣٠ - سورة المائدة: آيـة ١٠٠.

وما فيه من نواميس وقوانين مطردة ترشد العقل الإنساني لصحة الاستدلال الذي يساعده على فهم رسالته وأداء واجباته. كما أن الشريعة الإسلامية أعلت من مكانة العقل عندما جعلت سلامته شرطا من شروط التكاليف ، فهو أصل الدين الذي يرفع بغيابه وجوب التكليف الشرعي ؛ لكونه الأداة التي يدرك بها الإنسان الأحكام والحكم والمبادئ الإسلامية والمقاصد الشرعية ، وهو الأداة الآمرة للفعل المحركة للجوارح .[٣١] كما جعل الله للعلماء الذين أعملوا عقولهم في منهج الله وفق هديه مكانة تعلو بهم على من سواهم . قال تعالى: { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} [٣٢].

٤- التقوى مرتبة تكريميه : عندما سخر الله منهجه التشريعي الهادي لكافة خلقه ، جعل كرامة الإنسان متحققة ببلوغه مرتبة التقوى. قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٍ } [٣٣] ، فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى قيمة الإنسان ولا يمنحه عزته باللون ولا بالجنس ولا بالنسب لكونهم سواسية عنده في ذلك إنما يعلو بمكانة الإنسان تبعا لتقواه ومخافته من الله ، وصدق عزمه الباعث للعمل بشرعه ، فهو بذلك يلغي مقومات الكرامة المزيفة، ويرتقي بفكر الانسان وأهدفه ومقاصده بتوجيهه لمصدر الكرامة الحقيقية الكائنة بإتباع منهج الله ، كما أن الآية الكريمة تلغي مبدأ التحصن وطلب العزة والرفعة بالانتماء القبلي ويحصرها في طلب العزة بتقوى الله . يقول الشنقيطي في تفسيره للآية "فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل" [٣٤]

٥- المسؤولية تكفل الكرامة الإنسانية :

إن الإنسان هو الكائن والمخلوق الوحيد المسئول عن أعماله وما يصدر عنه ، فكل ما حوله من مخلوقات مسيره مرفوعٌ عنها المسؤولية ؛ لكونها غير مختارة لما تفعل وما يجري بين يديها من أمور تبعا لغياب أداة التميز – العقل عنها ، فلا أرض أجدبت تسأل ، ولا سماء أمسكت تسأل ؛ إنما الإنسان وحده الذي يسأل وهذا تكريم واعتناء بتوجيه عمله وخلقه ، فإن كانت حريته في الاختيار والعمل تكريم فكيف لا تكون المسؤولية تكريما له ولغيره وهي المقومة لسلوكه الواقية له من الانحطاط بعمل الخبائث ، فهي تطهير وتزكيه له ترتقي به وبمجتمعه في سلم الكرامة الإنسانية ، فهو مستأمن مستخلف على كل ما يتولى أمره . قال تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

٣١- علي ، سعيد إسماعيل (١٤٢٦هـ) . النزعة العقلية في الفكر التربوي الإسلامي ، القاهرة : دار الكتب ، ص٦-٧.

٣٢ - سورة الزمر: آية ٩.

٣٣ - سورة الحجرات: آية ١٣.

٣٤- الشنقيطي ، محمد الأمين (١٤١٥هـ) . أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن ، بيروت ، : دار الفكر للنشر، ج٧ ، ص٤١٧.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} [٣٥] ، فالأمانة التي بين يدي الإنسان مسئول عنها ؛ لكون المسؤولية هي الكافلة لحفظ هذه الأمانة التي تحفظ الكرامة الإنسانية ، ونجد هذا الترابط المنطقي في تعريف الأمانة بأنها " الابتلاء بتبعية التكليف وحرية الإرادة ومسؤولية الاختيار "[٣٦].

٦- حفظ الكرامة الإنسانية بجعل نطاق التكليف الإسلامي موافق لطاقة الإنسان لا يتعارض معها. قال تعالى : { لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [٣٧] . فالتكليف الإسلامي جاء بما يحفظ الكرامة الإنسانية بتوافقه مع طاقة الإنسان المزود بها بحيث لا يغالبها بتحميلها مالا تطيق فتهدر طاقته وتمتهن ذاته أثناء محاولته الوفاء بتكاليف الرسالة الإسلامية ؛ لذا جاء "التكليف الرباني متجاوبا مع حجم الطاقات الممنوحة لها من قبل خالقها لذا فإن الحساب العادل يوم القيامة يتجاوب مع هذه الفروق الفردية الممنوحة للنفس في الدنيا "[٣٨] ، وبذلك تحفظ الكرامة الإنسانية في الدنيا والآخرة ؛ لكون التكليف مترتب عليه الحساب والجزاء فإن خرج نطاق التكليف عن قدرة الإنسان كان الحساب بما لا قدرة له عليه موجب لذله وهوانه.

٧- حرية التدين تعزز مبدأ الكرامة الإنسانية : إن حرية التدين إقرار شرعي للكرامة الإنسانية يكفل به الإسلام احترام العقلية الإنسانية ومعتقداتها وإن لم يرتض لها غير الإسلام دينا ، إلا أنه في ظل إقراره لمبدأ الكرامة ألغى مبدأ الإكراه مهما سمت أهدافه فهو لا يناقض بعضه البعض، ولا يصل لهدفه بطريقة إكراهية تذل الإنسان وتقهر طاقاته ، فهو لا يرضى إخراجه من الذل والهون ولو كان مصدره عقديا بالذل والامتهان . بل بدعوة كريمة لينة مقنعه كي يلتمس الإنسان الفرق بين السمو والذل الكامن في الحق والباطل فيقنع قلبه وتثبت جوارحه على الهدى. قال تعالى : {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [٣٩] .

فالدين الإسلامي ظاهر الحجج والبراهين لكل عقل قاصدٌ له ، بَينٌ جلي في هداه مما لا يستدعي استعماله لمبدأ الإكراه في الدين ، ولكي يكفل تحقيق هذه القاعدة علق بها

---

٣٥ - سورة الأحزاب: آية ٧٢ .
٣٦- علي ، سعيد إسماعيل . مرجع سابق ، ص٢٤.
٣٧ - سورة البقرة: آية ٢٨٦.
٣٨- علي ، سعيد إسماعيل . مرجع سابق ، ص٣٥ .
٣٩ - سورة البقرة: آية ٢٥٦.

مبادئ الدعوة للحق بالحق وأقامها وفق ثلاث مبادئ [٤٠] : الإيمان الصحيح ويكون مبنيا على الاقتناع والإقناع ، الحرية في اختيار الدين ، الحرية في المناقشات الدينية .

٨- تشريع الأخلاق الإسلامية إقامة لمبدأ الكرامة الإنسانية :

إن الشريعة الإسلامية ميزان الكرامة الإنسانية ، وسياج جامع لقواعدها الخلقية التي تضمن وحدة المجتمع وآلفته وكرامته وعزته ومنعته ، فكرامة الفرد تعكس كرامة المجتمع، وكرامة المجتمع تعكس رقيه بين المجتمعات ، وإنما تتحقق أبعاد الكرامة بإقامة الحقوق والأخلاق الإسلامية التي شرعت في منهج الإسلام، وفق آداب فطرية وحقوق إنسانية في التعامل البشري، ومن بين هذه المبادئ الخلقية ما يلي:

*إقامة العدل يحفظ الكرامة الإنسانية ويصون حقوقها "فالعدالة في نظر الإسلام الحد الأدنى الذي يتفق مع الكرامة في معاملة الخصوم " [٤١] ، فقد أمر الله تعالى جميع خلقه بأن يتعاملوا فيما بينهم بالعدل والانصاف وترك الميل والاعتساف في الحكم بين المتخاصمين قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** } [٤٢] .

*تحريم الغيبة : حرمت الشريعة الإسلامية النيل من عرض وكيان الإنسان ؛ لكون الغيبة نوع من التعدي على كرامة الغير ، فليس الخلق الذميم والصفة غير المحبوبة مسوغا لأحد من بني البشر للنيل من صاحبها مهما بلغت ، إنما الواجب اتجاهه النصح والارشاد ، ولقد صور الله الغيبة في أبشع صورة كي يشنع اتيانها في كل نفس قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** } [٤٣] .

*تحريم النميمة ونهي العباد عن إتباع وإطاعة المتخلق بها ؛ لما فيها من الإفساد ونشر الضغينة والكراهية بين الناس بنقل الكلام الفاحش وتداوله مستحلا به أعراض المؤمنين . وهذا من تمام حرص الإسلام على كرامة الإنسان فحرم عليه أن يدنس خلقه بصفة تنشر الكراهية والأذى بين الناس ، وتسيء لذات النمام بتحقيره بين أبناء جنسه وتحقير رأيه وعمله ، كما في تحريمها حماية للعلاقات الاجتماعية من أن تدنس النفوس بالكراهية والبغضاء . فعَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنِمُّ الْحَدِيثَ

٤٠-عويس ،عبد الحليم ، (١٤٢٧هـ) . إنسانيات الإسلام مبادئ شرعية وتجارب واقعية ، الرياض : العبيكان للنشر، ص ٤٩.

٤١- فودة ، حمزة ، مرجع سابق ، ص٣٥.

٤٢ - سورة المائدة : آية ٨ .

٤٣ - سورة الحجرات : آية ١٢.

فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ) [٤٤]

.

* تحريم الحلف المبني على الكذب لكونه صفة ذميمة تضع من مكانة المرء الدينية والاجتماعية "فالكذاب حقير عند الناس وأقول كونه حلافاً يدل على أنه لا يعرف عظمة الله تعالى وجلاله إذ لو عرف ذلك لما أقدم في كل حين وأوان بسبب كل باطل على الاستشهاد باسمه وصفته ومن لم يكن عالماً بعظمة الله وكان متعلق القلب بطلب الدنيا كان مهيناً فهذا يدل على أن عزة النفس لا تحصل إلا لمن عرف نفسه بالعبودية وأن مهانتها لا تحصل إلا لمن غفل عن سر العبودية"[٤٥] فكثرة الحلف بالكذب توجب مهانة العبد عقديا ؛ لكونه يهين نفسه بالجهل بعظمة الله سبحانه وتعالى ولا يقيم حقها في نفسه مما يورثه انحطاط قدره عند الله سبحانه وتعالى وعند الناس . قال تعالى :{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ}[٤٦]. فقد أوجب الله المهانة على كل حلاف بالكذب ، فهو مهين بفعل وخلق دنس عزته الإنسانية ، فمعلوم لدى كل نفس إنسانية أنفتها عن من يسفه عقلها ويحجب عنها الحق ويرغمها تصديق الباطل احتراماً للذات المحلوف بها.

* الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قال تعالى : {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }[٤٧]. يبين الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة الأساس الذي يرتكز عليه مبدأ تكريم الله للأمم ، ومصدر علو وتفضيل الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا وهو خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . هذا الخلق الذي أورث الأمة الإسلامية العزة والرفعة والاستعلاء على الأمم الأخرى ، فهي تُحي منهج الله فيما بينها وتتواصى بالحق وتدحض الباطل، فحينما يدعو الإنسان للحق الذي يتفق مع فطرته فإنه يعمد لتنمية وحفظ كرامته وكرامة غيره فيرتقي المجتمع وتسوده حضارة قوية متماسكة تقهر الحضارات الإنسانية . إلا أن هذا المصدر للأفضلية يضعف أثره تبعا لضعف الامتثال به ، فهو مقيد بإحيائه بين المسلمين وتتسع دائرته للتجاوز التواصي بين المسلمين بعضهم البعض إلى الدعوة للحق والتواصي به بين المسلمين وغيرهم من أبناء الثقافات الأخرى فكلما اتسع مجاله سادت الرفعة والعلو للأمة الإسلامية على غيرها من الأمم .

*مشروعية الاستئذان حفاظا على حرمة أهل المسكن : إن فطرة الإنسان تتطلع للسكن وتشعر بتمام أحقيتها له في مسكنها الذي تؤوي إليه بعد سعيها في الأرض من أجل إقامة منهج الله ؛ لذا فقد كفل لها - ذات المنهج - حقها وكرامتها بمشروعية الاستئذان.

---

٤٤ - النيسابوري ، مسلم بن الحجاج (د.ت) . صحيح مسلم ، بيروت : دار إحياء ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الايمان ، باب : بيان غلظ تحريم النميمة ج١ ، ص٧٠ .

٤٥- الرازي الشافعي ، فخر الدين محمد (١٤٢١هـ) . التفسير الكبير ، بيروت : دار الكتب العربية ، ج٣٠:ص٧٤.

٤٦ - سورة القلم : آية ١٠.

٤٧ - سورة آل عمران : آية ١١٠.

وقد اتسعت مشروعية الاستئذان حتى بين أفراد البيت الواحد في أوقات مخصصة. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }[٤٨]، فالفطرة السليمة تأبى التكشف علًى حرماتها ، ويأبى لها الإسلام ما يخدش سترها لذا فمشروعية الاستئذان حماية وصون للأعراض يكفل كرامتها في أسمى صورها ، كما أن التكشف يضر بالمتكشف بإطلاعه على أمور تخدش نفسيته فتثار غرائزها التي يجب صونها عن الدنس والذلة بتصريفها بشكل لا يليق بهذه الكرامة الإنسانية .

*كفالة اليتيم إقامة لكرامته الإنسانية : كفلت الشريعة الإسلامية لليتيم حقه في الحياة الكريمة التي تكفل له نشأته في بيئة يسودها الأمن الديني والنفسي والاقتصادي والجسدي وتلبى احتياجاته بكرامة وعزة حينما شرعت كفالة اليتيم في المجتمع المسلم بهدف تقوية التكافل الاجتماعي وحفظ النفس الإنسانية من موجبات الهلكة والذل .قال تعالى : {كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ }[٤٩] ، فالآية الكريمة توجه المسلم لأهمية حفظ حقوق اليتيم بل وتعبر عنها بالكرم ليكون العطاء كثيرا مستمرا يكفل لليتيم إقامة حياته من كافة جوانبها بشكل قويم.

*التحذير من إتباع الهوى والتعايش في أركان البيئة الفاسدة : إن الإسلام سياج الإنسانية الذي جمع لها قواعد شرعية تضمن وحدة الفكر الإنساني مع الفطرة الإسلامية ، فإتباع الإنسان لهوى نفسه المتعارض مع شرع الله يفسدها ويغرق ذاتها في الأوهام والشبهات ، ويضيع هدفها بما يوجب ذلها ، ولكي يحفظه الإسلام من ذلك نهاه عن إتباع الأهواء وأمره بهجر أهل الأهواء لكي ينجو بذاته ويحفظ عزتها . قال تعالى : {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [٥٠]. مثل الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة صورة الإنسان الذي يتبع هواه على كل حال ويتكبر عن قبول الحق والهدى المحمول له بصورة دنيئة ذليلة ، فهو كحالة الكلب يلهث وراء شهواته ولا يفتر عن طلبها . " ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال فضلالته على كل حال "[٥١] ، ثم بين الله سبحانه وتعالى في موضع آخر في كتابه العزيز طرق الحماية من أصحاب الأهواء . قال تعالى : {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا

٤٨ - سورة النور : آية ٥٨ .
٤٩ - سورة الفجر: آية ١٧.
٥٠ - سورة الأعراف: آية ١٧٦.
٥١- الغرناطي ،محمد أحمد . (١٤٠٣هـ) ، التسهيل لعلوم التنزيل ، لبنان : دار الكتاب العربي ، ط٤ ، ج٢ ،ص٥٤ .

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً } [٥٢] ، فإختيار البيئة والرفقة الصالحة أكبر عون للمرء على الهدى حيث تحميه من الوقوع في مذلة الهوى ، وتعلو بهدفه وتقيم تطلعاته إلى ما يحقق عزته في الدنيا والآخرة ، فإن تعذر على المرء إقامة دينه وشريعة ربه في بيئته وجب عليه أن يهاجر منها إما ماديا أو معنويا كي ينجو بنفسه ودينه من ذلة الكفر والعصيان . قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً } [٥٣] .

*مشروعيه الصدقة والزكاة : حفظ الإسلام الكرامة الإنسانية بحفظ نصيب كل مسلم من المقومات المادية ، فالمسلم مستخلف على المال الذي بين يديه ، لنفسه نصيب كبير من هذا الرزق ولغيره من غير القادرين على تحصيله نصيب طيب يعلو بمكانة الإنسان عند ربه ويرتقي بإنسانيته إلى مكانة عالية هي وليدة شعوره بغيره من بني جنسه وتكافله معهم . وهذا التكافل المادي يحمي شريحة الفقراء من بني المجتمع من ذل العيش وضيقه ، كما يحمي أخلاقهم من الدنو إلى أخلاق ذميمة تفتك بالمجتمع تبعا للحاجة والذلة ، كما أنها تحمي نفس المتصدق من الشجع في حب المال فهي طهارة للنفوس المحسنة والمحسن إليها . قال تعالى : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[٥٤]، فالزكاة تطهير لنفس المذكي من الإستعلاء واعتراف منه بفضل الرزاق، وتزكيه لماله وتنمية له بصرفه في مرضاة الله وفيما يحقق لمجتمعه الخير ، كما أن الزكاة تطهير للفئة المستحقة لها من أمراض القلوب ، وعصمة لهم من طلب الرزق بطرق غير إنسانية محرمة ، وبذلك يكفل الإسلام للمجتمع كرامته الإنسانية من الهوان . ولكي يكفل الإسلام تحقيق الكرامة الإنسانية للفقراء في أتم صورها نهى المتصدق أن يتبع عمله الصالح بالأذى القولي. قال تعالى: { قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } [٥٥] ، فالكرامة الإنسانية في الإسلام مكفولة لكافة البشر في كافة الأخلاق الإسلامية والتشريعات الدينية وإنما جاء الاقتصار على ضرب منها لإرشاد العقل الإنساني إلى طلبها في مالم يرد ذكره، فالتخصيص لا يعني الاقتصار عليها.

ووفق ما سبق بيانه من أنواع الكرامة للذات الإنسانية نصل لنتيجة أن هناك نوعين من الكرامة للذات الإنسانية كرامة مادية تحصدها الذات الإنسانية بشكل عام سواء أكانت مؤمنة أم كافرة ، و كرامة معنوية تتباين الذات الإنسانية في حصادها بحسب التزامها بالتشريعات الإسلامية التي تكفل كرامته ، فالمؤمن كلما زاد التزامه بالتشريعات الإسلامية كلما زاد رفعة وكرامة ، وكلما بعد عنها ضعفت كرامته وازداد ذلا ومهانة ،

٥٢ - سورة الكهف: آية ٢٨.
٥٣ - سورة النساء :آية ٩٧.
٥٤ - سورة التوبة : آية ١٠٣.
٥٥ - سورة البقرة : آية ٢٦٣ .

وتبعا لذلك فإن كان المؤمن يرتقى بحسب التزامه بالتشريعات في سلم الكرامة فإن الكافر بالتشريعات الإسلامية لا ينال من الكرامة المعنوية حظه ؛ مما يعني أن للكرامة الإنسانية بعدين هما الكرامة العامة والكرامة الخاصة وهذا ما أعتنى ببيانه المبحث الثالث .

المبحث الثالث : أبعاد الكرامة الإنسانية في التصور الإسلامي :

يتضح من بيان أنواع الكرامة الإنسانية المادية والمعنوية أن للكرامة الإنسانية بعدين بحسب الفئة المتعلقة بها ، فمنها كرامة عامة لكل ذات إنسانية وهي كافة الأبعاد المتعلقة بالكرامة المادية وأما المعنوية منها فبحسب التزام الإنسان بها تطبيقا عمليا ، ومنها خاصة بفئة من الإنسانية وهي أبعاد من التكريم خص بها المؤمن على الكافر ، والأنثى على الذكر ويمكن تفصيل ذلك وفق ما يلي:

البعد الأول : الكرامة العامة : يراد بها الكرامة الكائنة لكافة بني البشر المؤمن والكافر والذكر والأنثى والمتحصلة بالهداية الإلهية العامة هداية التوضيح والبيان للتشريع الإسلامي التربوي وما يتضمن من حقوق وواجبات للعبد وعليه تكفل صلاحه واستقامته وكرامته متى ما ألتزم بها، فالكرامة العامة تضم تحت لوائها أنواع الكرامة السابق بيانها في المبحث الثاني من كرامة مادية ومعنوية ، فضلا عن كرامة الله لعباده بإرسال الرسل بالمنهج الإسلامي وتوضيحهم لكيفية التطبيق الصحيح ، وتفصيلهم لكافة الأحوال المتعلق بها الحكم الشرعي وجودا وعدما وهذا أجل تكريم عام للإنسانية.

قال تعالى : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[٥٦].

وللكرامة العامة بعدا يتصل بالهداية الالهية العامة لكافة البشر ، وهي الهداية لمقومات الحياة الأساسية المادية وفطرتهم على تحصيلها وحبهم لجلب النافع ودفع الضار الذي يحفظ لهم حياتهم وقواهم ويكفل تنميتها بشكل مستمر لتحصيل قوتهم ومنعتهم ، ومن هذه المقومات حب المال والبنون ولذة الطعام والشراب والأنس بالمسكن والأهل . قال تعالى : قال تعالى : { قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [٥٧].

ويمكن إجمال أبعاد الكرامة العامة في بعدين الهداية لمقومات الحياة المعنوية (التشريع الاسلامي) ، والهداية لمقومات الحياة المادية .

البعد الثاني : الكرامة الخاصة :

٥٦ - سورة آل عمران : آية ١٦٤.
٥٧ - سورة طه : آية ٥٠.

إن الكرامة الخاصة هي التي يفوق بها المؤمن على الكافر ، والذكر على الأنثى في الحقوق والواجبات ، فقد خص المنهج الإسلامي المؤمنين وميزهم عن الكافرين بأنواع من الكرامة التي يجدر أن يمتثل لها المؤمنين كي ينالوا الرفعة والعزة على الكافرين في الداريين ، كما أن المرأة فاقت على الرجل بألوان من الكرامة لتحقق لها مزيد من الرفعة والعزة التي تحفظها درة مصونة ، وهذا لا يعني أن في اختصاصها بهذه الألوان من الكرامة عن الرجل أن الرجل منتقص مهان ، بل أن هذه الأصناف من الكرامة الخاصة بالمرأة تكفل في نهاية المطاف كرامة الرجل أيضا ؛ لأن المرأة تنتسب لهذا الرجل وكل ما من شأنه أن يعيب فيها وينتقص من مكانتها وكرامتها فهو بالتالي سينتقص من كرامة الرجل الذي تنتسب له بل ومن كرامة المجتمع بأسره لكونها أم ومربية لأبنائه ورجاله ، فاختصاص المرأة بمزيد من الكرامة إنما كان في مجال التشريعات التي تختص بها والتي تتناسب مع مكانتها ومنزلتها في الإسلام ودورها الذي خصت به . ويمكن تفصيل البيان لأبعاد الكرامة الخاصة وفق ما يلي :

أ- الكرامة الخاصة للمؤمن على الكافر :

١- الكرامة الإنسانية للمؤمنين بقطع موالاتهم للكفار وولايتهم عليهم :

كفلت الشريعة الإسلامية للمؤمن كرامة تحفظ له عزته وتحميه من موارد الذل والهوان الناتجة عن مولاته للكفار ، واتخاذهم بطانة في تدبير أموره السياسية والاجتماعية وسواها ، فقد ورد النهي التحريمي عن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين لكونهم سيدسون لهم الغدر والخيانة وسيذيقونهم ألوان الذل والهوان . قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }[٥٨]. فالمؤمن لابد له أن يكون فطنا لا يغتر بالظاهر مهما بدت روعته وهو يعلم بخبث باطنه الناتج عن خبث عقيدته ، ومن يخالف أمر الله فقد عرض نفسه لغضب الله عليه ورفع ولايته عنه وهذه غاية الذل ، فولاية الله كائنة للمؤمنين الذين يسعون في الأرض بالصلاح والذين يتولون الصالحين ويولوهم أمورهم . قال تعالى : {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} [٥٩] . ذلك لكون تأثير الوالي على وليه كبير جدا " أيا كان نوع التأثير إما بحجة بدس السم في الدسم ، وإما بالقوة بطريق الإكراه الإجباري وتلك هي إنسانية لم يهملها الإسلام في تكريمه للمؤمنين في ولاية بعضهم لبعض "[٦٠] ، كما بين الله للمؤمنين أن العزة له وللمؤمنين في موالاتهم

---

٥٨ - سورة آل عمران: آية ١١٨.
٥٩ - سورة آل عمران: آية ٢٨.
٦٠– فوده ، حمزة ابراهيم . مرجع سابق ، ص١٨.

لبعضهم البعض لا بتولي الكفار . قال تعالى : قال تعالى : {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً } [٦١] .

٢- معية الله الخاصة للمؤمنين كرامة خاصة :

قال تعالى : {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [٦٢]. أثبت الله للمؤمنين العزة والعلو تبعا لإيمانهم وكَفلها لهم على كل حال ، كما دعاهم إلى عدم ارتضاء الهوان والذل على أنفسهم ، فإيمانهم كَفل لهم العزة والعلو في الأرض تبعا لعلو عقيدتهم عن الدنس والذل بعبادة غير الله من المخلوقات التي لا تملك لذاتها النفع ولا تدفع الضر ، فرفعهم الله عن ذل العقائد الفاسدة التي تسفه عقولهم وقدراتهم.

قال تعالى : {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [٦٣] ، كما أن الله خصهم بمعيته وعونه لهم في تحقيق رسالتهم التي تكفل لهم كرامتهم وعزتهم . قال تعالى : {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ }[٦٤]. ذكر فخر الدين الرازي في بيانه لمعنى قوله تعالى " وأنتم الأعلون " أوجه العلو الكائنة للمؤمن على الكافر" الأول وأنتم الأعلون إن بقيتم على إيمانكم والمقصود بيان أن الله تعالى إنما تكفل بإعلاء درجتهم لأجل تمسكهم بدين الإسلام ، الثاني وأنتم الأعلون فكونوا مصدقين لهذه البشارة إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ، والثالث التقدير ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين فان الله تعالى وعد بنصرة هذا الدين فإن كنتم من المؤمنين علمتم أن هذه الواقعة لا تبقى بحالها وأن الدولة تصير للمسلمين والاستيلاء على العدو يحصل لهم "[٦٥] فالمؤمنين مع العلي العلي العظيم يساندهم ويدعم قوتهم المادية والمعنوية ، فالغلبة لهم والعزة والشرف تكسوهم في الدنيا والآخرة ، ومع ذلك يجدر بهم أن لا يأنفوا عن مقابلة الكفار وأذاهم بما يحقق لهم العزة والقوة بل عليهم أن يأنفوا عن اللجوء إلى أي أسلوب يكسر قوتهم ويضمر لهم ذلتهم وهوانهم .

ب- الكرامة الخاصة بالمرأة على الرجل :

١- أخلاقيات المرأة كرامة خاصة بها : لقد كفل الإسلام للمرأة أصناف الكرامة الإنسانية بمنحها حقوق تتوافق مع فطرتها ، وأمرها بأخلاقيات تصون طهارتها الإنسانية وشرفها من الدنس والرزيلة التي تحط من مكانتها وعزتها ، ويمكن الإشارة إلى بعض من الأخلاقيات التكريمية للمرأة فيما يلي :

*فرضية الحجاب على المرأة :

---

٦١ - سورة النساء: آية ١٣٩.
٦٢ - سورة المنافقون: آية ٨ .
٦٣ - سورة آل عمران : آية ١٣٩.
٦٤ - سورة محمد: آية ٣٥.
٦٥ - الرازي الشافعي ، فخر الدين . مرجع سابق ،ج٩ ، ص١٢.

أمر الله نساء المسلمين أن يحمين عرضهن ويصن كرامتهن بالحجاب الشرعي الذي يستر زينتهن . قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } (٦٦). جاء خطاب الله أمراً المرأة بالستر والحجاب ليكفل لها كرامتها الإنسانية أن تبتذل مشرعاً لها ما يميزها عن الباغيات ، وما يكنف لها عزتها وطهارتها .

*تحريم الخضوع واللين في القول حال حديث المرأة مع الرجال : أغلق الإسلام كل باب يفضي للحط من قيمة المرأة ويدنس شرفها ؛ لكون كرامتها مكفولة عنده كائنة بحفظها وحمايتها من كل خلق يفضي بها إلى الإبتذال لذا منعها من الخضوع في حديثها بالنبرة الحانية واللهجة الخاضعة، فالإسلام يريدها قوية متحصنة ذات منعه لتعلو بقيمة ذاتها وتصون نفسها من أذية أصحاب النفوس المريضة الذين يحطوا من قيمتها بجعلها دنيئة رخيصة أمام شهواتهم المريضة . قال تعالى : {يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} (٦٧). أرشدتنا الآية الكريمة إلى تحريم القول الذي به خضوع ولين يخرج عن ما تعارف عليه الناس في حديثهم المعتاد ؛ لكونه مدعاة للطعن في سلوك المرأة وأهدفها ، وسبب في إستغلالها لغرض غير شريف .

٢- تحريم رمي المحصنات العفيفات : إن من أشد ألوان المهانة ما يلامس عرض المرء وشرفه وشرف أهله ؛ لذا كان من أعلى مقاصد الشريعة التي تكفلت بحفظها حفظ الأعراض وصون شرفها من الدنس؛ لكي يحيط الكرامة الإنسانية بسياج العزة والعفة ، وحفظ العرض مكفول في مختلف تشريعاتها بطرق مادية ومعنوية . فالطعن في العرض بالقول موجب لحلول اللعن والإبعاد من رحمة الله . قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(٦٨)، كما رتب عقاباً عاجلاً في الدنيا ليقوي زجر النفوس عن إتيانه . قال تعالى : {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (٦٩).

٣- تكريم المرأة بقوامة الرجل عليها : ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في التشريعات والحقوق ، ومع كل هذه الحقوق كفل لها تلبية احتياجاتها وهي مصانة معززة مكرمة بجعل قوامة الرجل عليها كائنة تبعا لأهليته لتحمل مسؤولية النفقة وتوفير السكن الآمن وكافة متطلباتها المادية والمعنوية لحفظ كيانها وإنسانيتها ، وصون عزتها وعرضها . قال تعالى : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

٦٦ - سورة الأحزاب: آية ٥٩.
٦٧ - سورة الأحزاب: آية ٣٢.
٦٨ - سورة النور: آية ٢٣ .
٦٩ - سورة النور: آية ٤.

اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً } [٧٠].

إن أصل الكرامة المتمثلة في قوامة الرجل على المرأة تتمثل في حفظها من التعب والمشقة في تحصيل الرزق بما لا يتناسب مع طبيعة خلق المرأة وقدراتها ، وخصائص وظيفتها الأساسية المغلفة بحاجة أسرتها لرعيتها ، فرفع شؤون النفقة عن كاهل المرأة يتجاوب مع فطرتها التي تتطلب الصون والحفظ لطاقتها .

الخاتمة :

إن هذه الروح الإنسانية المكرمة في النشأة والتكوين لن ترتقي إلى تمام الكرامة الإنسانية والمكانة الكائنة لها من الله إلا إن أقامت منهج الله التكريمي في عقيدتها وخلقها وكافة تعاملاتها ، فالكرامة الإنسانية في الإسلام لا تقتصر على التكريم المادي بل إن كافة تشريعات المنهج الإسلامي تغرس أبعاد الكرامة الإنسانية، وتضيء أنوارها في الروح والجسد . فالتسوية في الخلق ، وانبثاق الروح الطاهرة في الجسد الإنساني، والفطرة السليمة تعتبر قواعد لتطهير الاستعدادات الأولية لإقامة منهج الكرامة الإنسانية ؛ فلكي تتحقق الكرامة الإنسانية في أسمى صورها فإنه يتوجب على المسلم أن ينهل من معين التشريعات الإسلامية حتى ترتوي روحه كرامة ورفعه في الداريين.

قائمة المصادر والمرجع

المصادر :

١-القرآن الكريم

٢- البخاري ، محمد بن إسماعيل (١٤٠٠هـ) .*الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه* ، ت. محب الدين الخطيب ، القاهرة : المكتبة السلفية .

٣- الرازي الشافعي ، فخر الدين محمد (١٤٢١هـ) .*التفسير الكبير* ، بيروت : دار الكتب العربية .

٤- الشنقيطي ، محمد الأمين (١٤١٥هـ) . *أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن* ، بيروت: دار الفكر للنشر .

٥- العبادي ، لأبي السعود محمد بن محمد (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*، بيروت : دار احياء التراث .

٥- الغرناطي الكلبي ، محمد أحمد (١٤٠٣ هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل* ، بيروت : دار الكتب العربي .

٧٠ - سورة النساء: آية ٣٤.

٦- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج (د.ت) . *صحيح مسلم* ، بيروت : دار إحياء ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الايمان ، باب : بيان غلظ تحريم النميمة .

قائمة المراجع :

١- سرسيق ، إبراهيم محمد (د.ت) . *النفس الإنسانية في القرآن الكريم* ، جدة : تهامة.

٢- سعيد إسماعيل علي ، محمد الحامد ، عبد الرضى محمد (١٤٢٦هـ). *التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات* ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط٢ .

٣- علي ، سعيد إسماعيل (١٤٢٦هـ) . *النزعة العقلية في الفكر التربوي الإسلامي* ، القاهرة: دار الكتب .

٤- قطب ، سيد (١٣٩٩هـ) . *في ظلال القرآن* ، بيروت : دار الشروق ، ط٨ .

٥- عبد الغني محمد ، صلاح (١٤١٨هـ) . *وسائل الإسلام في المحافظة على كرامة المرأة*، مكتبة الدار العربية .

٦-عويس ، عبد الحليم (١٤٢٧هـ) . *إنسانيات الإسلام مبادئ شرعية وتجارب واقعية*، الرياض: العبيكان للنشر .

٧- فودة ، حمزة إبراهيم (١٤٠٤هـ) . *العلاقات الإنسانية في القرآن الكريم* ، ط٢ .

٨- المرصفي ، محمد علي (١٤٠٣هـ). *من المبادئ التربوية في الإسلام* ، مكة المكرمة: عالم المعرفة .

٩- الهاشمي ، عابد توفيق (١٤٠٢هـ) . *مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة* ، عمان: دار الفرقان .